تقييم لغوي للمفردات العربية المستعارة في لغات شبه القارة الهندية

أ. د.عبد الماجد القاضي

الإعارة والاستعارة ضرورة لغوية طبيعية

من الظواهر اللغوية المعروفة أن اللغات تعير غيرها وتستعير منها من المادة اللغوية التي تسد ثغراتها وتساعدها في التكامل. ومن البداهة البادية أن فاقد الشيء لايعطيه، وأن الإعارة والعطاء يستلزمان تحقق الثروة والوفرة من جانب والعوز والحاجة في الجانب الأخر، كما يتطلبان التقارب بالقدر الكافي مما يؤدي إلى الاحتكاك بين اللغتين المعيرة والمستعيرة.

وهذه الظاهرة تكشف لنا جانبا فذا من علم الاجتماع اللغوي، والذي لايخضع بالضرورة للسنن الطبيعية التي تنظم شؤون المجتمعات البشرية وتفرض سيطرتها في تسيير عجلتها في اتجاهات معينة. فقد تكون في المجتمع حساسيات وعصبيات يصدر عنها في تعامله مع مجتمع آخر، وقد تتفاقم تحفظاته، وتتشكل أسوارا منيعة تحول بينهما، ورغم هذه الجفوة البادية على الصعيد المادي والنفسي – قد يتقارب المجتمعان المعاديان على المستوى اللغوي، ويؤدي هذا التقارب إلى احتكاك لغوي، وهو بدوره يسب تأثيرا واستعارة للمفردات اللغوية. وهذا التبادل اللغوي يتبع نظاما معينا من السنن الطبيعية التي لاتخضع لمنطق القوة المادية أو التدخل والافتعال المدروس.

وغني عن البيان أنه قد حصل تقارب واحتكاك بين اللغة العربية ولغات شبه القارة الهندية بنسب متفاوتة بفعل الأحداث التاريخية والعوامل الجغرافية، وجاءت النتيجة مدهشة في شكل تأثير شامل وملموس في شتى المجالات اللغوية – بدءا من النظام الصوتي البدائي إلى قواعد الصياغة البنيوية، إلى التراكيب، وإلى الظواهر الجمالية العديدة، وهي بتفاصيلها المسهبة وجزئياتها المبسوطة قد تتطلب أسفارا ضخمة من البحث العلمي والمعالجة اللغوية النوعية.

خلفية الاحتكاك اللغوي بين العربية واللغات الهندية

واللغات الهندية منذ قرون الاتصال والتفتح على الخارج، وجدت نفسها في مهب نسائم منعشة من تخومها الغربية. وقد اتحفتها المسيرة الحضارية الكبرى من غرب آسيا بكل جديد مفيد لرقي حياتها العقلية وزيادة حصيلتها المعرفية. وقد سجل المؤرخ المعروف تاراتشند معطيات التلاقح بين الفارسية والعربية من جهة، وبين اللغات الهندية من الجهة الأخرى، وتأثيرها النافذ في تنشيط حركتها الثقافية وترشيد وعيها الحضاري. فيقول:

"إن تأثير المسلمين في اللغة الهندية كان عميقا، وهو ملاحظ في المفردات والنحو والمجازات والعروض والأساليب، وهو الوضع ذاته في اللغة المراتية والبنغالية، وبدرجة أكبر في اللغة البنجابية والسندية"

وقد لاحظ ذلك رئيس وزراء الهند الأسبق، جواهر لال نهرو قائلا:

" ولعل أهم ما يشير إلى استيعاب العناصر الأجنبية في الهند، كان استخدامها اللغة الشعبية، ولو أن اللغة الفارسية استمرت كلغة البلاط"

فلم يبق مجال من مجالات الحياة إلا وقد شهد تطورا وانتعاشا تقوده اللغة العربية والفارسية، وبقيت مفرداتهما شهادة تاريخية على تأثيرهما في التربة الهندية ولغاتها.

وقد شقت العربية طريقها لإمكانياتها الهائلة للتعبير، فكانت مفرداتها تلبية لحاجات متنوعة من الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية، فكما أنها اتحفت الأدب والشعر بصفوة الألفاظ الجميلة، أمدت الحركات السياسة بمفردات مدوية موحية طالما استخدمت في النعرات والشعارات، مثل " انقلاب" و"احتجاج" و"مظاهرة" وهي كلها تحدث تأثيرها المطلوب بوقعها الصوتي القوي.

تفاوت نسبة التأثير والاستعارة في اللغات الهندية

وكانت مناطق السند وبنجاب أولى محطات اللغة العربية في الجهة الشمالية من

شبه القارة الهندية، وازداد احتكاكها بلغات الهند الشمالية مع استقرار الحكم الإسلامي في البلاد. ورسخت قدمها في تربة الأرض الهندية كلغة الدين والثقافة، والتحمت كمية كبيرة من مادتها باللغات المحلية. ويمكن أن توضع هذه اللغات في فئتين حسب درجة تأثرها واستعارتها من اللغة العربية.

الفئة الأولى تشمل كافة اللغات الهندية، وقد استعارت كثيرا من المفردات العربية وتبنتها، بمقتضى الاحتكاك اللغوي، وطوعتها لتنسجم مع نظامها الصوتي وبذلك تلاشت هوية معظم هذه الألفاظ وتنوسيت حكاية نسبها الأجنبي.لكن هذه اللغات نأت بنفسها عن تحمل الثقل الثقافي من اللغة العربية، وحافظت على مسافة مدروسة بينها وبين اللغة العربية. ورغم ذلك نجد في اللغة الهندية التي هي اللغة الرسمية الأولى في بلاد الهند أكثر من خمسة آلاف كلمة عربية.

ومن مظاهر التأثير العام تداول كلمات عربية كمصطلحات في الدوائر الرسمية. كما أن من الآثار المرئية وجود أجمل وأرقى نماذج الخط العربي منقوشا في الحجارة التي تزدان بها المعالم الأثرية مثل منارة قطب والقلعة الحمراء والمسجد الجامع والقلعة القديمة في دلهي والتاج محل في مدينة آكره، والقائمة طويلة عبرالبلاد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.

والفئة الثانية عبارة عن مجموعة من اللغات الهندية التي يشكل المسلمون أغلبية الناطقين بها، منها اللغة الكشميرية والأردية والبنجابية وبعض لهجاتها ولغة شينا، واللغة السندية، وقد اعتبرت هذه المجموعة اللغة العربية قبلتها في تطوير حصيلتها المعجمية وتحديد هويتها الحضارية، فاختارت الأبجدية العربية بالإضافة إلى الرموز الصوتية الأخرى، واختارت الخط العربي. وأصبحت العربية لهذه المجموعة مصدرالطاقة الدائمة لزيادة مقدرتها الاستيعابية. شأنها في ذلك شأن اللاتينية مع اللغات الأوربية والسنسكريتية مع لغات الهند الحديثة.

وقد اكتسبت اللغة الكشميرية خزينة جديدة من الألفاظ والتراكيب العربية واستقرت في اللاوعي اللغوي بانسجام ووئام مع مادتها الأصلية، واصطبغت بصبغة

العربية لتغطية احتياجاتها الثقافية والعلمية. وقد يكون بيانا للحقيقة الموضوعية إذا قلنا إن اللغة الكشميرية الحديثة مدينة للإسلام والعربية لوضعها الحالي من التطور.

أما اللغة البنجابية فقد تطور معجمها باستعارة قدر ملحوظ من الكلمات العربية، غاية الأمر أن أربعين بالمئة من مفرداتها اللغوية مأخوذة من العربية والفارسية والتركية. ويتجلى تأثير الثقافة الإسلامية واضحة في شعراللغة الأردية والكشميرية والبنجابية ولهجاتها الفرعية، حيث ظهرت فيهما المعاني الروحية في حلل الألفاظ المستعارة من العربية ورموز الثقافة الإسلامية.

والصورة الصحيحة للمعجمية المستعارة من العربية لاتتضح بمجرد إحصاء المفردات والتراكيب وكشف دلالاتها، كما لاحظنا ذلك في كتابات المعتنين بالموضوع، وإنما يتطلب الأمر دراسة أبعادها المعرفية وتقدير الخلفيات التي لابستها، ونوعية الفجوات الدلالية التي سدتها، والمجالات المتخصصة التي غطتها، كما لاتبرز ملامح الصورة بالقدر الكافي مالم نقم بالتقييم الموضوعي لهذه المادة المستعارة في شتى سياقاتها اللغوية والتاريخية ومدى حيوية المفاهيم التي رمزت لها.

ويمكن اعتبار هذه المادة جسرا ممدودا بين العربية ولغات شبه القارة الهندية، وشهادة مادية عملاقة على حيوية العلاقة بينها وعمق جذورها وسعة آفاقها. فليس هناك مجال من مجالات الحياة ولا منحى من مناحي الفكر، ولا جانب من جوانب النشاط الفكري، ولا فرع من فروع المعارف البشرية-إلا وقد فرضت العربية وجودها وحضورها الملموس على المسرح اللغوي في شبه القارة الهندية.

قيمة الكلمة العربية المستعارة في مجال القانون والقضاء

وهذه الظاهرة اللغوية تدل دلالة واضحة على انسجامية الجيرة اللغوية بين العربية ولغات الهند وإيجابية تفاعلها، كما تدل على ثراء اللغة العربية بمخزونها الفائض المعطاء. وإذا تقدمنا خطوة أخرى للاستعراض الموضوعي المركز، وأفردنا الحديث في تتبع آثار العربية وحضورها في كل مجال من مجالات الحياة وجدناها تشكل حجر الزاوية في إرساء أسسه وإبراز ملامحه، وأن المادة المستعارة من العربية

هي التي تحدد سماته الجوهرية وتطور صورته في عالمي الخيال والمثال والمادة والشهادة. وأنه لو سحبت تلك المادة من المشهد اللغوي لانهار صرحه وتضاءلت صورته. لنأخذ على سبيل المثال مجال القانون والإدارة الحكومية، على شتى مستوياتها، فإن جل ما يتعلق بالمرافعات والقضايا والأطراف المعنية من الإدعاء والدفاع والمحاماة والشهود وما يشكل الهيكل الأساسي للقضايا المدنية أو الجنائية – من كلمات ومصطلحات، والتي تجعله نظاما مكتمل البناء – إنما يقوم على أساس المادة المستعارة من اللغة العربية. فمثلا نذكر هنا المصطلحات الأساسية للنظام القضائي: فالمقدمة هي القضية وأطرافها فريقين، والمدعي والمدعى عليه، والشاهد والوكيل مما يعني المحامي، ووكالت نامه، محضر التوكيل الشرعي، ودليل مما يعني البينة، وفي القضايا الجنائية موقع واردات، آلهء قتل، ثبوت، وارتكاب وجرم وإقبال واعتراف وبيانات، وما إلى ذلك-كلها ألفاظ عربية حصل في بعضها تطور دلالي طفيف.

ويؤدي بنا تحليل هذه الظاهرة إلى المقدمة المنطقية القائلة بأن تصور الشيء يستلزم وجوده، وأن التصورات والمفاهيم التي دلت عليها الكلمات العربية واستعارتها اللغات الهندية فإنها في الحقيقة استعارتها بدلالاتها ومفاهيمها وإن هذه العملية ليست مجرد استعارة للكلمات والمفردات وإنما هي في حقيقتها استنجاد مجتمع لغوي معوز من محيط لغوي راق لاستكمال أنظمتها الاجتماعية الحيوية، وبناء أنظمة راقية على مثالها ومنوالها.

المكانة الأساسية للفظة العربية في المجال الديني

أما المجال الديني فإن جل ما يتعلق بالحياة الروحية للمسلمين في شبه القارة الهندية من مصطلحات ومفردات – مستعار من اللغة العربية بفصه ونصه. فالتوحيد والصلاة والزكاة والحج والصوم، والصدقة والتقوى والدعاء، وأسماء الصلوات من الفجر والظهر والعصر والعشاء، والتهجد والإشراق، والسنن والنوافل، والإنابة والتضرع، والعبادة ولوازمها من الوضوء والطهارة ومواقيتها من الطلوع والزوال والغروب والليل والنهار، وما إلى ذلك مما له صلة بالشعائر الدينية-مستعار

من اللغة العربية، ويبلغ عددها إلى مئات من الألفاظ المحيطة بالمفاهيم الحيوية التي يقوم عليها بناء الدين.

ومن أهم خصائص المفردات الدالة على الشعائر الدينية والحياة الروحية أنها لاتزال تحتفظ ببنيتها الصوتية الأصلية وتلازم دلالاتها المعروفة دون أن يلحقها أي نوع من التطور. ولهذه الظاهرة دلالات أخرى خارج نطاقها اللغوي المباشر إذ أنها تحمل شهادة صريحة على الرقي العلمي ومستوى الوعي الديني لمسلمي شبه القارة الهندية، واستمدادهم الدايم واستيحائهم المستمر من مصادر الشريعة الإسلامية الغراء طوال هذه القرون الطويلة. ويندرج في هذا السياق ما تفرعت من فلسفات ومناهج في تفسير الحقائق الدينية، هي كذلك تعتمد على المعجمية العربية في إرساء أسسها الوجودية، نذكر هنا على سبيل المثال، الصوفية وسلاسلها وطرقها، فإن جميع مصطلحاتها الدالة على الحالات الروحية والمراحل النفسية والمدارج الفكرية مستعارة من العربية.

لم يكن بدعا أن نرى تأثير اللغة العربية النفاذ في أعماق النشاط الديني لدى المسلمين في شبه القارة الهندية، لكن الأغرب حقا أن نجد للغة العربية حضورا ملموسا في الديانة السيخية، فإن كتابها المقدس الذي يسمى "غرو غرنت صاحب" يضم قدرا ملحوظا، مما يقدر أكثر من ثلث الكتاب من شعر المشايخ والصوفياء المسلمين، ويضم كما ملحوظا من مفردات اللغة العربية، ويتلى صباح مساء في معابدهم بصفة منتظمة. والديانة السيخية لاترى للأصنام قداسة ولا تعتبرها أهلا للعبادة. وطقوس العبادة الشكلية عندها هو السجود للكتاب المقدس فقط والإصغاء إلى ترنيماته.

ومما ورد في كتابهم المقدس من شعر مؤسس هذه الديانة " غرو نانك" باللغة الفارسية:

يك عرض كفتم بيش تو در كوش كن كرثار
حقا كبير كريم تو بى عيب بروردكار
دنيا مقام فاني، تحقيق دل داني
من ســـر موئى عزرائيل كرفته دل هيج نداني

وهكذا تستمر هذه المنظومة تتحدث عن عبر الحياة ودروسها. وقد وردت فيها كلمات: عرض وحقا وكبير وكريم وعيب ودنيا ومقام وفاني وتحقيق وعزرائيل. ووردت في الأبيات اللاحقة من المفردات العربية: آخر وتكبير وهوى وخيال وأحوال وبخيل وغافل وما إلى ذلك. وبما أن السيخ شديدو الصلة بكتابهم المقدس وكثيرو الاستماع إلى ترنيماته فإن المفردات الواردة فيه رائجة في لغتهم ضمن السياقات الدينية والروحية.

وعندما استطاع السيخ إقامة أولى حكوماتهم في سنة ١٧١٠م والتي دامت لمدة ست سنوات فقط، كانت اللغة الفارسية لغتها الرسمية، والعملة المعدنية التي سبكتها كانت تحمل عبارة فارسية مفادها أنها: عملة ستبقى مدى العالمين بفضل الرب الحق، وأنها فتح لغورو غوبند ملك الملوك، ومن هبة نانك" وتضمنت هذه العبارة من كلمات اللغة العربية: عالم وفتح وواهب وضرب وخالصة ومبارك وأمن وزينة ومشورة وشهر وسنة.

واندمجت كلمتا "خالصة" و"فتح" بهوية الديانة السيخية إلى غاية أنهما شكلتا شعارها الدايم، وأكثر نعراتها شعبية وترددا في المناسبات الدينية والاجتماعات السياسية، حيث يرفع أتباعها هتاف" واهى غورو جي كا خالصة، واهى غورو جي كي فتح" وهكذا كلمة "صاحب" التي يصفون بها كل ما يقدسونه من شخصيات وأماكن وكتب. والسيخ فخورون بتراثهم الديني والثقافي، وبكل ما يسهم في تشكيل هويتهم الدينية والثقافية والتاريخية، ويعتبرون هذه المفردات العربية ضمن الموروث اللغوي المشكل لهويتم بمثابة لحمتها وسداها في إبراز صورتهم دينا وثقافة وطبقة اجتماعية.

اللغة العربية تعير أكثر مما تستعير

واللغات تتدرج في رقيها من المفردات الدالة على الماديات الحسية إلى المعنويات العقلية والحقائق التجريدية. واستعارة اللغة لفظة من اللغة الأخرى توحي بميزتها الخاصة التي أزاحت أستار الغرابة، وهيأت لها الأجواء لتتبوأ مكانتها في ذاكرة اللغة المستقبلة.

وقد تتعدد تفسيرات ظاهرة الاستعارة من اللغات الأجنبية بشأن المفردات الدالة على الماديات المحسوسة، مثل أسماء المنتجات الزراعية والفواكه، وأنواع الأزهار والأشجار التي تنبت في منطقة جغرافية معينة، وأنواع الألبسة، مثل زهرة النرجس التي توجد في بلاد أسيا الوسطى ومناطق في أوربا، والكلمة فارسية. ومثل شجرة تشنار التي توجد في كشمير والمناطق التي تشبهها في الظروف المناخية من أسيا الوسطى وكندا. ومثل "ساري" الذي تلبسه النساء في الهند، أو "فيرن" الذي يرتديه أبناء كشمير، ومن الانتاجات الصناعية " كانغري" المدفأة اليدوية الكشميرية وما إلى ذلك، فإن كافة هذه الأشياء التي هي إما نتاجات مناخية أو وليدة ضرورات تفرضها الطبيعة الجغرافية في مناطق دون غيرها-إنما تنطلق من مولدها ومنشئها إلى البيئات اللغوية الأخرى، حاملة معها أسماءها، وتقبلها اللغات الأجنبية مع أسمائها. وهكذا الصناعات والمخترعات التي أوجدها أبناء لغة ما، فإنها تجتاز حدود اللغات الأخرى ملازمة لأسمائها الحقيقية، مثل الراديو والتلفون والتلفاز والكمبيوتر، وما إلى ذلك.

وبما أن اللغة العربية تمتلك ذاك المخزون اللغوي الهائل الذي يؤهلها للاكتفاء الذاتي، فإنها تبحث في جعبتها عن البدائل العربية المناسبة، لتستوعب المعجمية العربية المخترعات الأجنبية الوافدة. وقلما تقتنع العربية بالتطفل على مائدة اللغات الأجنبية في تسمية المخترعات والصناعات، حرصا منها على تماسك كيانها المتميز. وقد أثبتت اللغة العربية سعتها الاستيعابية حيال ذلك القدر الهائل من المفردات الأجنبية الوافدة عليها مصحوبة بمسمياتها من المخترعات الحديثة، واستطاعت وقف زحفها المتواصل بقدرتها الخارقة على التوليد والتجديد.

لكن غالبية لغات العالم تجد نفسها مضطرة لفتح أبوابها للمخترعات الأجنبية وأسمائها، فتقبل المسميات والأسماء على السواء، "وليس للشحاذ أن يشترط".

قيمة الكلمة العربية في نقل المفاهيم المعرفية الدقيقة

وإذا كانت ظاهرة استعارة المفردات الدالة على الماديات المحسوسة تقبل أكثر من تفسير، أو يمكن إخضاعها لعديد من آراء اللسانيين-فإن استعارة المفردات الدالة

على المفاهيم التجريدية والأفكار والمعنويات أبعد غورا وأعمق أثرا من أن تخضع للتفسيرات العادية، فإن التأويل الوحيد لهذه الظاهرة، مما يرضاه العقل ويقبله المنطق، هو أن هذه المفردات قد استعارتها اللغات الهندية لتسد فراغات هائلة في مجالات معينة من بنائها اللغوي. والكائن اللغوي، في طبيعته، كالكائنات الحية، وكالبشر بالتحديد، ويتوخى الرقي والكمال، ويسد ثغراته بجلب المواد المناسبة من أماكنها المتاحة.

واستعارة لغات شبه القارة الهندية من العربية المواد الدالة على المعاني الحيوية من ممارسات العقل في علياء صعيده، ومن خوالج النفس في أغوار عالمها الداخلي، ومن تحركات الضمير وراء حدود الطبيعة، ومن إرهاصات الوجدان في أجواء غيوبه- تدل دلالة واضحة على عوزها وخوائها في هذه المجالات من جهة، كما تدل في الوقت نفسه على رخاء اللغة وغنائها بمخزونها الثري. وثراء لغة الضاد بالمعني الدقيق هو انعكاس لعلو كعب أبنائها في اكتشاف كنوز العقل، والتقدم الملموس في رصد ظواهر النفس الغامضة، وتسجيل وحي الضمايرِ. وهذا المستوى المتقدم من اللغة المعبرة عن فتوحات العقل، هو من معطيات الرقي الحضاري.

فالعقل والفكر والفن والأدب والشعر والنقد والفلسفة والنفس والوجدان والضمير والوعي _ الذي يعبر بالشعور واللاشعور_ والتحليل والتجزية والتعليل والتفسير – الذي يعبر بالتشريح_ والتعريف والتجديد والتخصيص والتعميم والترقي والتنزل والتجلي والفهم والتفهيم والعقيدة والمسلك والمذهب والدين والنظرية والرأي والتاريخ والنسبة والتناسب والحساب والعدل والإنصاف والظلم والجور والعدوان والأخوة والاتحاد والنفاق والرياء والمناظرة والتناظر والمادة والروح والقلب والتهذيب والتحقيق والبحث والاختلاف والتنوع والكتاب والقلم والقائمة أطول من أن تحصى، أضف إلى ذلك مصطلحات العلوم والفنون من قواعد اللغة والنحو والصرف والفلسفة والسياسة والاجتماع والنفس والاقتصاد والتربية والقانون والإدارة والتجارة وعلوم الطبيعة من الفيزياء والكيمياء والفلك والرياضة والتاريخ والأدب،

حيث أن أكثر من تسعين بالمئة من مصطلحات هذه المعارف البشرية في كثير من لغات شبه القارة الهندية منحوتة أو مستعارة من اللغة العربية. وهي من المعجمية الجوهرية التي تخطط مسيرة الحياة العقلية، وتنظم أنشطتها، وتصور قدرا هائلا من أطوارها وأبعادها، وتضفي عليها صبغة حضارية متطورة. لقد استعارتها، بنسب متتفاوتة، معظم اللغات الهندية من اللغة العربية.

الكلمة العربية وقيمتها الجمالية في الشعر الأردي

تطورت لغة الشعر في الأدب الأردي، واستقرت تقاليدها بعد خضوعها لعملية التصفية والتكرير لحقبة من الدهر، وبعد طول ملازمتها لمقاييس الجودة والجمال، حتى أصبحت وعاء لخيرة التراكيب والأساليب والأخيلة، وخزانة من المعاني الرقيقة والبنى الصوتية المصقولة. وتعد الألفاظ العربية من المقومات الأساسية التي أمدت الشعر الأردي بنظام صوتي جميل، وأثرته بدلالات دقيقة تستوعب المعاني المتوخاة بصفة رائعة. ولذلك تبدو المادة الدخيلة من العربية ذات قيمة جمالية ملموسة في الشعر الأردي.

تفتحت أبواب كنوز المعرفة والمعاني على لغة الشعر الأردي بفضل هذه المادة اللغوية، وأسهمت في إخراج الشعر الأردي من نطاقه الإقليمي إلى السياق العالمي ليتبوأ مكانته اللائقة به، حتى اعتبره بعض المثقفين أبلغ شعر على الإطلاق في السيق العالمي الحديث.

العربية وفنون العرض والأداء في شبه القارة الهندية

والفنون الجميلة من الشعر والأدب وفنون الأداء من التمثيل والموسيقى والغناء قد اقتبست من العربية جمال أصواتها، وتأثير إيقاعاتها، وعذوبة أسجاعها وألحانها. وقد لاحظنا في دنيا الأفلام الهندية، التي هي أكبر سوق الأحلام في العالم، استراتيجيتها المدروسة في اختيار لغة نمطية خلابة في سيناريوهاتها وأنغامها، والتي تعتمد انتقاء خيرة الكلمات صوتا وقالبا ودلالة، وهي تولي المعجمية المستعارة من العربية والفارسية اهتماما خاصا. وتتجلى براعة النجوم والممثلين في صحة نطقها ومراعاة ميزاتها

الصوتية. ولا يتأتى لهم ذلك إلا بعد خوضهم تداريب مكثفة لإجادة تلك الأصوات نطقا وأداء. فمثلا يصعب على غالبية الهنود نطق أصوات "الشين" و"الصاد" و"الظاء" و"الضاد" و"القاف" و"الخاء" و"الذال"، لكن مهنة التمثيل في الأفلام والمسلسلات، وكذلك الطرب والغناء، والبث الإذاعي عبر الإعلام المرئي والمسموع-تفرض على أصحابها النطق الصحيح للمفردات المستعارة من اللغة العربية. فمثلا ثمانون بالمئة من الهنود ينطقون كلمة "شوق": "سوك" وخمسة عشر بالمئة ينطقونها "شوك" أما الذين يستطيعون نطقها بصفة صحيحة مئة بالمئة "ش وق" فربما لاتزيد نسبتهم على خمس بالمئة عل أكثر تقدير. لكن نجد المهنيين في مجال الإعلام المرئي والمسموع، وفي صناعة الموسيقى والأفلام يوفون أصوات المفردات العربية حقها نطقا وأداء، وذلك استنادا إلى قناعاتهم إلى أن جمال هذا النظام الصوتي يضمن لفنون العرض والأداء مكانتها الفنية والجمالية، وأن الصوت أغلى سلعة في سوق التسلية مادام يزود خالصا دون شوائب التقليد والتشويه، وأن الجمال ليس ترفا وإنما هو ضرورة من ضرورات الحياة الثقافية. وهذا الالتزام المهني بالجودة الصوتية والقبسة الفنية يضمن للأفلام والإعلام والموسيقى شعبيتها المعهودة داخل البلاد وخارجها، ويمثل مستواها من الثقافة كذلك. فالكلمة العربية بنظامها الصوتي العذب تقع موقع حجر الزاوية في أكبر سوق الصوت والصورة والتمثيل في العالم.

خاتمة

هناك ألاف مؤلفة من المفردات اللغوية التي استعارتها لغات شبه القارة الهندية من العربية، وانصهرت في بوتقتها على مر الزمان. فتقمص بعضها هوية صوتية معدلة نوعاما، وأخرى خضعت للتطور الدلالي، بينما بقي قدر ملحوظ منها محتفظا بقوالبه الصوتية ومضموناته الدلالية.

اكتشف علماء القانون والشريعة والفلاسفة والمفكرون والإعلاميون وأدرك الشعراء والخطباء والسياسيون قيمة الكلمة العربية من الناحية الموسيقية الساحرة والتغطية الدلالية الوافية، فاستغلوها في لغتهم، واتسع بذلك نطاق اللغات الهندية

وازدادت مرونتها التعبيرية وقيمتها الجمالية. ومن ثم قلما نجد بيت شعر أردي يخلو منها. وتحتل دوما منزلة حجر الزاوية في البناء الصوتي.

وتأتي أهمية هذه المادة بكونها ترميزا لدلالات محملة قيما دينية خاصة، وأخرى متضمنة قيما ثقافية ونظريات فلسفية وإيحاءات تاريخية، ومفاهيم قانونية دقيقة، غاية الأمر أن قدرا كبيرا من هذه الألفاظ مصطلحات أساسية يقوم عليها تفكيرنا. وهناك بعد حضاري مهم في تحليل هذه المادة، وهو أن المفردات اللغوية الدخيلة تأتي متلازمة مع التصورات المرتبطة مع دلالاتها، وتسايرها في حلها وترحالها، وتختلس طريقها إلى اللاوعي القومي وتستقر فيه.

وانطلاقا من أن اللغة هي الدولة المعنوية التي تعيش في أحضانها الأمم والشعوب، وهي التي تمثل عنوانا لهويتها ووعاء لعصارة إنجازاتها، فإن مفردات اللغة العربية وتراكيبها وأصواتها قد خالطت هوية شعوب شبه القارة الهندية، وشكلت أواصر متينة بينها وبين العرب وحضارتهم، وقربت بينها على صعيد الذوق. ومن ثم نجد أن تأثير اللغة العربية في الهند يمتد من المسجد إلى المسرح، ومن المكتبة إلى الملعب، ومن الجامعة إلى المزرعة، ومن السوق إلى المصنع، ومن البحار المائجة إلى الجبال الشاهقة-تأثير شامل عبر مجالات منوعة من الحياة.